# صورة المرأة
# في رحلة ابن المجاور

**د. نواف عبد العزيز الجحمة**

**أستاذ مشارك، كلية التربية الأساسية**

**الهيئة العامة للتعليم التطبيقي، الكويت**

**الملخص:**

رحلة ابن المجاور أو"صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمَاة: تأريخ المستبصِر" كتاب يمكن اعتباره من أهم المصادر الرحلية لأحوال النصف الأول من القرن السابع الهجري(١٣م) بمناطق شبه الجزيرة العربية، وهي الفترة التي عايشها ونقل أحداثها ومشاهداته المتعددة الجوانب عنها، الرحالة المشرقي أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م.

تنطوي رحلة ابن المجاور على مشاهدات متنوعة لأوضاع المرأة وماهيَتها في مختلف المناطق التي زارها. فقد زار بلدانا عديدة ووُجد بين شعوب مختلفة العقائد والميول والتقاليد. وهو يحاول أن يعطي صورة واضحة عن المرأة تعكسها المجتمعات والأوساط التي زارها. فابن المجاور لم يترك بلدًا مر به إلا وتكلم عن نسائه:من نساء زبيد إلى نساء عدن إلى نساء نجد إلى نساء جزيرة قيس يتغير المشهد وتختلف المعايير. وكاتبنا يجسد صورة المرأة في إطارها الجغرافي الاجتماعي السياسي وأسس العلائق العادية أو الغريبة السائدة في ذلك العصر.

وجوه متعددة للمرأة تخترق كتاب ابن المجاور لتعطي صورة–قد تكون غريبة– عن نساء ذلك العصر. فالصورة هي التي ميزت الخطاب الأدبي وفق مقاييس المجال الذي تنفس في أحضانه، مع ما قد يصاحب ذلك من بلورة لانطباعات شخصية أو أحكام تقويمية قد تساير الرحلة وملابستها. إلا إن ذلك يبقى ضمن إطار الموضوعية "البصر والبصيرة". فأهم ما يتوخى في نص الرحلة هو الملاحظة والاستنتاج. لذا فإن تصور المرأة الذي خص به قسما من كتاباته يتخذ طابع الدقة والصدق وحسَ الدعابة–الطرائف المسلية.

وعليه، فإن هذا البحث ينقسم إلى جوانب ثلاث: الجانب الأول يبحث في مكانة المرأة عند المجتمعات الي زارها ابن المجاور. والجانب الثاني يندرج ضمن المظهر الأخلاقي والسلوكي الذي كان سود مجتمعات ابن المجاور. أما الجانب الثالث ، فهو ما توصلت إليه من خلال هذا البحث من خلاصة واستنتاجات.

**Abstract:**

The book "The History of the Clairvoyant" is a book that can be considered as a matter of mercy for the son of the seventh century AH (13 AD) in the areas of the Arabian peninsula, the period that he experienced and the transfer of events and its sights, Bakr bin Mohammed bin Masood bin Ali (neighboring) Ben Ahmed al-Baghdadi Nisabouri died after 626 AH / 1228 AD.

The journey of the neighboring son involves various observations in which the inhabitants of the various regions visited: they visited their country, they are different, and there are women from Aden who are women. Women in a judicial place are embodied in life.

Many faces of women - perhaps strange - of women of that age - may be strange - than women of that age. The picture is characterized by literary discourse, but that remains within the subject of "Sight and insight. " The most important envisaged in the text of the trip is observation and conclusion Jerusalem

Thus, this research is divided into three root: the first aspect examines the status of women in the vigilant societies of the next son. The second aspect falls within the moral aspect and behavior that prevailed in the societies of the neighboring son. The third aspect is that, through this research.

**مقدمة:**

رحلة ابن المجاور أو"صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمَاة: تأريخ المستبصِر"[١]. كتاب يمكن اعتباره من أهم المصادر الرحلية لأحوال النصف الأول من القرن السابع الهجري(١٣م) في مناطق شبه الجزيرة العربية، وهي الفترة التي عايشها ونقل أحداثها ومشاهداته المتعددة الجوانب عنها، الرحالة المشرقي أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م[٢].

تنطوي رحلة ابن المجاور على مشاهدات متنوعة لأوضاع المرأة وماهيَتها في مختلف المناطق التي زارها. فقد زار بلدانا عديدة ووُجد بين شعوب مختلفة العقائد والميول والتقاليد. وهو يحاول أن يعطي صورة واضحة عن المرأة تعكسها المجتمعات والأوساط التي زارها. فابن المجاور لم يترك بلدًا مر به إلا وتكلم عن نسائه: الأصيلة منهن والوضيعة، الحرة والجارية، الصالحة والفاسقة، الوفية والزانية إلخ... يصف تحركات كل منهن وسلوكهن وتصرفاتهن إزاء مجتمعهن وبيئتهن. فهو يجسد صورة المرأة في إطارها الجغرافي الاجتماعي السياسي وأسس العلائق العادية أو الغريبة السائدة في ذلك العصر.

وجوه متعددة للمرأة تخترق كتاب ابن المجاور لتعطي صورة–قد تكون غريبة– عن نساء ذلك العصر. فالصورة هي التي ميزت الخطاب الأدبي وفق مقاييس المجال الذي تنفس في أحضانه، مع ما قد يصاحب ذلك من بلورة لانطباعات شخصية أو أحكام تقويمية قد تساير الرحلة وملابساتها. إلا إن ذلك يبقى ضمن إطار الموضوعية "البصر والبصيرة". فأهم ما يتوخى في نص الرحلة هو الملاحظة والاستنتاج. لذا فإن تصور المرأة الذي خص به قسمًا من كتاباته يتخذ طابع الدقة والصدق وحسَ الدعابة–الطرائف المسلية.

وعليه، فإن هذا البحث ينقسم إلى جوانب ثلاثة: الجانب الأول يندرج ضمن المظهر العرفي والتقليدي عند المجتمعات التي زارها ابن المجاور. والجانب الثاني يبحث في سلوك المرأة في جميع مراحله، وذلك من خلال ثلاثة مواضيع:(غرائب النساء، صلاح النساء، فساد النساء). أما الجانب الثالث فهو ما توصلت إليه من خلال هذا البحث من خلاصات واستنتاجات.

**١. الجانب العرفي والتقليدي:**

من خلال تتبع نصوص ابن المجاور، يمكن تكوين فكرة عامة عن المرأة بمكانتها وعاداتها وسلوكها مع أن ما تجود به الرحلة من صور يبقى جزئيًّا ولحظيًّا، بل ومحكوماًً بوعي الرحالة وثقافاته وبمصادفات طرق الرحلة، إلا إن كل هذا لا ينزع عن تلك الصور بُعدها الاجتماعي ولا يبخسها حقها في الإفادة الثقافية، فصورة الرحالة الملتقطة بدهشة الغريب والعجيب تبقى لحظة ثقافية فارقة تشهد على أحوال الرحالة في الفنون المكانية راصدًا ومرصودًا. هذا وقد نجح الرحالة المشرقي في الجمع بين طرافة العرض ودقة المعلومات والبراعة في التقاط الصور المعبرة عن واقع هذه المجتمعات، ويمكن تلمس ذلك في ما يلي:

**١. ١ زواج النساء:**

زواج المرأة في عصر ابن المجاور لم يكن على ما يبدو يختلف عن الزواج في البلدان والمجتمعات الأخرى، إذا استثنينا بعض النواحي التي فرضها المظهر العرفي والتقليدي وما تحقق لها من حرمات في المجتمعات التي عايشها أو قربها رحالتنا. والواضح أن العادات والتقاليد والأزياء والأعمال كانت تختلف باختلاف الطبقة التي تنتمي إليها المرأة. والحديث عن مسألة الزواج في هذا الإطار يمر في نفس البوتقة. فوضع المرأة ومكانتها في مجتمعها وبيئتها يحدد العرف المتبع وكذلك موقعها من هذا العقد الاجتماعي، وما أورده ابن المجاور في كتابه يعطينا صورة حية

عن اقتران المرأة بالرجل: هل تتزوج أم تُزوَّج؟ كما أننا نشاهد في الكتاب صورة واضحة عن مراسيم الزواج والاحتفالات به عند المجتمعات التي زارها ابن المجاور وعما وجده من أمور مستغربة وغريبة، وما يمكن للقارئ استخلاصه من تلك الأخبار.

وأول ما تجدر الإشارة إليه هو "زواج أهل مكة"، فقد ذكر من عادات زواج المكيّات تخصيص اليوم العاشر من ذي الحجة لخطبة النساء خاصة اللاتي تجهزن لذلك اليوم ويستعدن استعدادًا عظيمًا، وجرت العادة أيضاً أنه في العاشر من المحرم يدخل كل واحد منهم على عروسه بالنظرة والتظهير على حد قوله[٣] وتساءل ابن المجاور لِمَ ذاك، قالوا: لأن كلاً منا يعيش مع الحاج في كل فن من الفنون من حرام وحلال، فإذا رحل الحاج دار الخطّب والنكاح والأفراح والأعراس بين الناس[٤].

ومن العادات التي كانت تحدث في زواج المكيات أنه إذا تزوج رجل من أهل مكة وقطع المهر وأراد الدخول على المرأة يخضّب الرجال أيديهم وأرجلهم تزييناً وكذلك جميع أهل اليمن وحضرموت. ويحضر كل أصدقائه من الأهل والأقارب وبيده قرطاس منشور مكتوب عليه اسم الآتي مع وزن المبلغ وعدده، يقدمه قدّام العروس كل على قدر حاله وسعة ماله[٥]. وبعدها يخرج العريس إلى الحرم ويطوف سبعاً ويصلّي في مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين ويقبّل الحجر الأسود، ويخرج بالشمع إلى بيت العروس فتُجلى عليه ويدخل عليها ويبقى عندها سبعة أيام[٦]، ففي اليوم السابع يخرج يضم الطرح (المال) الذي طرح له ويدبره رأس مال في يده، وعند ذلك يفتح له دكاناً يعيش به، ويكون ذلك الطرح ديناً عليه[٧].

أما حديثه عن عادات نساء مدينة زبيد، فقد ذكر أن نساءها لا يأخذن من أزواجهن المهر، وأخذ المهر عندهم عيب عظيم، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها (مفرُوكة)، أي أن زوجها أعطاها مهرها وفركها، أي طلقها..

وتقول النسوة فيما بينهن: إن ما قدر زوجها يخرجها من عنده إلا بمهرها لقلة رغبته فيها فيركبها العار[٨].

فإذا أراد رجل يتزوج امرأة تجيء نساء الحافة بلا مخافة إلى المرأة ويقلن لها: أفرَكي زوجك قبل أن يَفرَكِك، أي: هبي له المهر وأخرجي قبل أن يزن المهر

ويخرجك، ويفعلون الطرح (الهدايا والواجبات) في الأفراح والأعراس على ما تقدم ذكره في صفة مكة[٩].

ومن عادات نساء زبيد تبادلية الطرح فيما بينهن، وهي عادة يمنية قديمة؛ إذ يتم تقديم الهدايا والواجبات الاجتماعية في مناسبات: الزواج والولادة والختان والوفاة، وهي أشبه بديون يسددها الناس في مناسباتهم ويتم ردها بينهم، فكل امرأة ترد مال الناس الذي عليها، ثم قال:" وليس يقبل منها يمين ولا شاهد إلا قول المرأة على المرأة مُصدَق"[١٠].

أما في مدينة ذمار نجده يكتفي في وصفه العلاقة ما بين عمل المرأة الذي يتطلب القوة الجسدية والخاطب، مبينا أهمية عمل المرأة بالنسبة للخطوة التي قد تتمتع بها المرأة لدى خطابها.

وقد ضرب لنا مثلاً بقوله: " إذا خطب زيد بنت عمرو وأنعم له بذلك يقول زيد لعمرو: أريد أشاهد جمال كريمتك، فيقول له عمرو: أقدم إلى السوق الفلاني، فإنها تتوعد به تشاهدها في بيعها وشراها وجمالها، فيتقدم زيد إلى السوق الذي دله عمرو عليه فيقعد على قارعة الطريق، فتقبل خطيبته وعلى ظهرها كاره وعلى قدر شيلها تحط في السوق فتبيع ما معها وتشتري حوائجها، وترفع كارتها على ظهرها، ويرجع خطيبها وراءها تقطع الجبال والأودية والشعاب والسهل والجبل واللين والوعر، وهذا كله ولم تحط الكاره من ظهرها ولم تسترح، فإذا أعجب الرجل حالها وجمالها وشيلها وبيعها وشراها وقوة صبرها على شيل الثقيل فعند ذلك يملك بها ويدخل عليها وتبقى على شغلها ذلك إلى الممات"[١١].

ومن الصور التي لم يغفل عنها ابن المجاور تقاليد الزواج وترتيباته لدى أهل البوادي وأهل نجد فهي أبسط منها في المراكز الحضرية ـ ذكر ابن المجاور حديثًا عن سليمان بن منصور فحواه "أن جميع أعمال الجبال وجميع أهل البوادي والبدو وتهامة

ونجد، يزوجون بناتهم، ولا يورثون البنت شيئاً[١٢]، بل إذا كانت البنت بكراً تجهز وتزوج من مال أبيها، وإن كانت البنت ذات عيال (أرملة أو مطلقة)، فقد استراحت عواذلي من عتابي"[١٣].

والمعنى أن الأب لا يجهز زواج ابنته من ماله الخاص، وبذلك يستريح من العتاب حول هذا الأمر ولا يلومه أي أحد (عاذل) لعدم إسهامه بماله في زواج ابنته؛ لأن هذه تقاليد القوم وعاداتهم السائدة بينهم.

وأضاف ابن المجاور أن كل امرأة يقل أهلها وعشيرتها يقل خطابها، "فإذا عجزت عن مقاساة نعمها وأموالها ومواليها تركب هودجاً عالياً وتساق نعمها إلى سوق في وعدة ويقوم لها مناد ينادي عليها: ألا يطلب عروسًا ودودًا؟ فإن كانت راجعًا ينادي عليها: ألا ومن يطلب نحيحًا ودوبًا، والنحيح هي المرأة الثيب والدوب مالها ونعمها من.. وأمانات، فكل من رغب فيها وفي مالها تزوج بها، فإذا أبوها أو أخوها أو ابن عمها أو بعض قرابتها يقول للرجل: تزوج بها يا وجه العرب، وإذا قل رغبتك فيها فأنت وكيلها في زواجها، زوّجها من شئت!!

"وإذا دخلت المرأة على بعلها تجيء كل امرأتين من جيرانها يهنئانها بإتمام سرورها وتأتي معها بجراب ملآن دقيق سميد أو سويق أو زبيب، وحينئذ يحصل للمرأة نحو مائة ظرف ملآن تنفقها مدة أيام وشهر، وإذا كان لإحدى النسوة اللائي حضرن العرس عرس ردت لهم المرأة الجراب ملآن مثل ما كان، وهذه عوائدهم"[١٤].

وتجدر الإشارة هو أن البنت القروية تبدو من خلال نصوص الرحلة عاجزة عن الظهور المباشر، إلا إذا عُقد نكاحها وقُطع مهرها وسلُم دفعها، وبعد ذلك تظهر بطبل وزمر على رؤوس الأشهاد والضيافات والطرح والتسليم. فسأل عن فعلهم، قالوا: " نخاف نُظهر طفلة فإذا كبرت رأت نبتها وخدها وقدمها ونهدها مع أعكانها مليحاً يعجبها حسنها فتحتاج إلى أن تخرج عن الطريق إلى غير الطريق، بل نخليها على

حالها، فإذا رأت قلفتها طويلة وهي مع وسخها رهكة كريهة الرائحة وحشة المنظر تخمد نارها ويقل طلابها لأجل ما معها من طول الغفلة، فإذا مهرها طهرت فأُدخلت على بعلها هين لين"[١٥].

كما لمسنا في رحلة ابن المجاور وجود مفاضلة بين المرأة والرجل، فالمرأة في جزيرة قيس كانت أفضل من الرجل وأعظم شأناً منه، يقول:" وإذا تزوج الرجل امرأة وأعطاها مائة دينار أعطته المرأة مائة أخرى، وكتبت عليه قبالة دين حال بمبلغ مائتي دينار، وكلما زاد الرجل في المهر زادت المرأة في النقد، وإذا نقص من المهر نقص من النقد.

"وتحكم نساء هذه الأعمال على رجالها، وما يفعل الرجل إلا ما تقوله زوجته من صلاح أمر أو فساد حال.. " [١٦].

باستطاعة القارئ في حكايات ابن المجاور عن زواج النساء أن يكوّن فكرة واضحة من خلال تلك المفاهيم الضمنية التي تربط المرأة بالرجل في هذا المجتمع ضمن ثوابت من عادات وتقاليد قد تتم أكثر بكثير مما عناه السارد الرحالة. فالتقاليد كالقانون تفرض نفسها وتسن شرائعها.

**٢. ١ أزياء النساء**

ملابس المرأة وزينتها وعطرها جزء من حياة الشعوب واهتماماتها. وهي بالتالي جزء من عاداتها وتقاليدها يعكس إلى حد كبير عقلية الشعب ومستوى تفكيره ومدى رفاهيته. وفلكلور الشعوب يبرز من خلال ملابس المرأة وأزيائها وزينتها وعطورها. ومدى اهتمامها بأعيادها. وهذا يجسد مظهرًا آخر من المظاهر الاجتماعية الخاصة. والفنون العديدة التي ترتبط بهذا المظهر كصناعة الثياب وتطريزها أو زخرفتها ووشيها بالذهب والجواهر تحكي تاريخ شعبه وروح مجتمعه[١٧].

وحديثنا عن أزياء النساء وزينتهن لن يكون موسعًا بشكل يمكن معه الاطلاع على جميع الأزياء والزينات عند جميع النساء في عهد ابن المجاور، فهو سيكون محصورًا في عرض هذه الأزياء عند بعض المجتمعات، وإن كانت الصورة ينقصها كثير من التفصيل أحياناً إلا إن الدلاله فيها تتسع لترمز إلى طريقة في التفكير ونهج في العقلية.

كثيرة هي المعطيات المتعلقة باللباس، وينبغي أن نحدد هنا كون نظرة ابن المجاور توقفت أساساً عند أزياء نساء العامة، وقد تباينت واختلفت حسب مكانة المرأة ومركزها الاجتماعي في المدن والقرى. والذي يقدم وصفاً مسهباً للباس، ليشير أيضاً إلى طبيعة القماش ومصدره، يذكر ابن المجاور صفة لباس أهل مكة بقوله:" وملبسهم النصافي النيسابوري الرفيع ويتحزم بنصفه الثاني ويرمي بما فضل منها، ولبس نسائهم القنوع والبراقع"(١٨).

أما إشارته بصفة لباس أهل حضرموت فيقول: "ولبس نسائهم الفتوحي، ويصبغ الثوب بالزاج، ويرجع اللون لا أخضر ولا أزرق، إلا لون عجيب، وتضفر النساء رؤوسهن في أوسط رؤوسهن ترجع تشبه الهدهد يسمونه الطرطر"(١٩).

ومما تجدر الإشارة به التشابه البسيط في صفة ملابس نساء حضرموت مع نساء صنعاء خاصة في لبس الفتوحي . ففي "ذكر تفصيل الفتوحي" أورد لنا ابن المجاور أن هذا المسمى جاء لاستفتاح مدينة صنعاء، ويقال:إنه فتح الخياط، وكانت تلبسه نساء بغداد، ولبس نساء جميع العرب وجميع التركمان والكرد ونساء أهل سيستان إلى الآن منه على حد قوله(٢٠).

كما أن نساء عدن يلبسن الحجل وهو (الخلخال) (٢١) في أرجلهن والأساور في معاصمهن وزنودهن ويسمى عند العجم مسحة، والدملج. ومادتهم من الهند والسند والحبشة وديار مصر(٢٢).

كما تحلت المرأة في البحرين وجزيرة قيس بأنواع من العقود لتضفي على عنقها جمالاً وحسناً، ودلنا على ذلك ابن المجاور بقوله: "وكان اللؤلؤ من كثرته تحلية النساء والأطفال والمشائخ، وهو موسم كموسم الغلال في سائر العالم تحلية كل أحد إلا في هذا الوقت فإنه بطل جميع ذلك وصار الصيادون يصطادون وعليهم كتبة وعمال وقُبّاض يتسلمون منهم الأول فالأول من الآخر إلى الأول، ولو وجد حبة في يد رجل لأخذ ما تحته وما فوقه"(٢٣).

يبدو أن استخدام الحلي قديم في هذه المناطق واختلافات بسيطة تطرأ على الشكل. وتصنع الحلي يدويا وتزين بالفصوص والأحجار المختلفة الكريمة وأشهرها اللؤلؤ التي يتم استخراجها من بحر الخليج. ودلت كثرة الحلي المصنوع من اللؤلؤ في شرق الجزيرة على ازدهار اقتصادي في المنطقة آنذاك.

أما ملابس النساء في المناطق الجغرافية المختلفة والتي تتميز بخصوصية فريدة وبقدرات عالية على محاكاة الطبيعة والبيئة، فأغلب هذه الملابس تتميز عموماً بفخامة المادة النسيجية ودقتها وحرصها على تغطية كامل الجسد كما تتميز بخصوصية فنية تحوي الكثير من ألوان الزخرفة والتطريز. هناك إشارات ذكرها ابن المجاور تلقي الضوء على صفة لباس نساء بعض الأماكن التي تكون محطة للقوافل والمسافرين، منها وصفه لملابس أهل نجد بقوله: " وتغزل نساء هذه الديار القطن كما يغزل الوبر بالقانون غليض مرة، وينسج منه شبه السياسات شبه الأكسية الصوف يسمونها ثياب الهجيرة لبس العبيد والإماء والضعيف، ويقال: إنما يوجد في هذه البلد ستون حائكاً ودحاح.. " (٢٤).

هذا وقد لاحظ ابن المجاور أن نساء نجد يرتدين الخام كما هو الحال عند نساء مدينتي صنعاء(٢٥) وذمار(٢٦)، وذلك لبرودة المناخ في تلك المناطق خلال هذه الفترة.

هكذا يعطي ابن المجاور لمحات موجزة عن أزياء نساء مختلف المجتمعات التي خالطها وعاش بينها، إنما هو يضيف بدقة اللمسات المتعلقة بالوحدة الفنية لمجمل الأزياء التقليدية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأقاليم الجغرافية ونمط الحياة الاجتماعية ومنظومة العادات والتقاليد السائدة. وهنا قد يمكن طرح مسألة – أصالة الأزياء من أصالة المناطق بالنسبة لذلك العهد.

**٢. الجانب الأخلاقي والسلوكي**

الناحية الثانية والأخيرة التي بها تكتمل صورة المرأة كما عكسها كتاب رحلة ابن المجاور تمر عبر سلوكية تعرض لتصرفات المرأة وسلوكها ضمن مجتمعها وبيئتها. ثلاثة مواضيع مهمه تترافق في هذا المجال لتعكس الصورة التي كانت تميز امرأة هذا المجتمع، وبعض نسوة تلك المجتمعات التي ذكرها ابن المجاور في كتابه: غرائب[٢٧] النساء، صلاح النساء، فساد النساء.

**١. ٢ غرائب النساء**

إن الرحلة لا يظهر عصبها الإغرابي ببروز إلا بدءًا من طور حركتها، أي خصيصًا في المجال اليمني، ففي هذه الأصقاع تظهر نزعة رحالتنا الإغرابية في سياق تعجباته أو استنكاراته إزاء عادات وتقاليد اجتماعية أو ظواهر خارقة للعادة. وهكذا، فالحكاية عن الأشياء العجيبة تأخذ ثمة من حقله المرئي ثم في نصه وصفًا متميزاً.

لنبدأ بهذا الشق حتى نشير انتقاء إلى ما كان فيه يذهل رحالتنا ـ ونكتفي في هذا السياق بميزات خاصة لبعض النساء أو لواحدة منهن، والقدرات الغامضة عند بعض النساء على القيام بأعمال لا يستطيع غيرها القيام به وإن عدّ ذلك الأمر من عالم السحر، ولقد وجدنا في رحلة ابن المجاور نزعة إغرابية بعضها نقلها كما سمعها أو كما رويت له، وبعضها خبرها بنفسه.

أولى الغرائب التي ذكرها حكاية "الفالقة"، وهي امرأة خرجت من البحر سكنت البر وتزوجت رجلاً من وجوه العرب، أسكنها العربي أرض "ترن"[٢٨] ورزق منها أولادًا إناثًا وذكورًا والفالقة امرأة مشهورة بعجائبها كما يخبرنا ابن المجاور، فقد ذكر أنه "إذا جاءهم سيل عظيم ومال من جريه لُيسقى به موضع آخر كانت تقعد في بطن الوادي وتسده من عظيم خلقها وكبر جثتها وترد الماء إلى المجرى القديم المعتاد فتسقي الأرض من جريه، وكانت تبقى على حالها إلى أن تسقى للناس الأرض كلها، فإذا رويت الأرض واستغنت الناس عن ماء السيل تقوم حينئذ من مقعدها فيجري ما فضل من ماء السيل إلى البحر، ويقال:أنها كانت ساحرة"[٢٩].

ومن عدن إلى شبام[٣٠] لم يفت رحالتنا الالتفات إلى نسائها وهن يمارسن السحر[٣١] فقد قال منوها في حق مهارات نسائها السحرية: "وأصل نساء هذه الأعمال من هذا الفن: تمشي إحداهن إلى المعبر وترجع في ليلة واحدة"[٣٢].

ويسجل من تقصياته عن تعلم السحر قائلاً:" إذا أرادت المرأة أن تتعلم السحر التام الذي لا قبله ولا بعده تأخذ ابن آدم تصليه إلى أن يذوب ويصير ودكا ويبرد فإذا برد شربته جميعه، تحبل منه وتضع بعد السبعة أشهر بشراً وحشياً يشبه القط، سوي في الطول والعرض يسمى العفو، ويقال:إنه يكون عليه آلة في قدر آلة العفو الكبير، فلا تزال الساحرة تدور به وتربيه إلى أن يكبر ويشتد ويقوى، فإذا بلغ الإدراك جامع العفو امه، فإذا جامعها فلو ركبت المرأة جرة نكست بها الجرة عنها، ولم يشاهد العفو إلا أمه، وهي زوجته، ولم ينظره أحد غيرها"[٣٣].

وإذا كنا قد أوردنا في هذا الموضع من الدراسة ما أورده ابن المجاور عن غرائب النساء، فليس ذلك لنبرز ما في النسوة من غريب أو عجيب. ففي ذلك فرادة لا

تنطبق على جميع النساء ولا تشكل مظهراً عاماً في هذا المجتمع. إنما ما يجدر قوله هنا هو أن أخبار ابن المجاور عن هذه الغرائب النسائية تضمن الإشارة إلى ناحية مهمة، وهي أن المرأة تكتسب أهميتها في هذا المجتمع الذكوري كجسد وكأحاسيس.

تبقى هذه القراءة نسبية. فربما بإعادة القراءة، وتحليل هذه النماذج الحكائية الواردة في رحلة ابن المجاور، نستطيع أن نموضع الحكاية ضمن الأشكال السردية القديمة. وأيضاً فهم آليات هذا النوع من الكتابة.

**٢. ٢ صلاح النساء:**

كثيراً ما يرتبط تدين المرأة بالإحسان وأعمال البر مع أن كبريات المحسنات كن بالآلاف عبر القرون فإن المصادر لا تعني إلا بأبرزهن مركزاً على ما ندر، وبينهن زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوج هارون الرشيد وبنت عمه وقد أنشأت مبرات عديدة بطريق الحاج في الحجاز[٣٤]، وأنفقت في حجة واحدة لهذا الغرض مليوني دينار[٣٥]. أفاد ابن المجاور أن ذكر زبيد وما كانت في قديم الزمان من زبيدة زوج هارون الرشيد بانية السدود والمصانع بقوله:"ما أظنها إلا زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، فإن محمد المنصور بن زياد بنى لها داراً ما بين وادي زبيد ورمع، وهي التي سعت في بناء المكان في دولة أمير المؤمنين الأمين"[٣٦].

وابن المجاور حينما يتحدث عن بعض الجهات التي ما زال للنساء فيها صفة الصلاح، فإنه ينصرف إلى بادية الجزيرة العربية، حيث ما زال لبعض الأشياخ وجود. ومعنى هذا أننا إذا أردنا أن نبرز صورة المرأة الصالحة دون كثير من الشطط، فعلينا أن نقصد اطلاقه على عرب البادية.

يذكر بهذا الصدد حكاية أعرابية، والصفة التي تجعل من الأعرابية امرأة فاضلة هي "الكرم" فالكرم بالنسبة لابن المجاور صفة مهمه تدفع بصاحبها إلى القيام

بأعمال التصدق ومساعدة المحتاجين يقول: " عن أبي عمرو الدمشقي قال: خرجنا مع أبي عبد الله بن الجلال إلى مكة لم نجد ما نأكل فرفعنا إلى حي في البرية وإذا في الحي أعرابية عندها شاة فقلنا لها: بكم هذه الشاة؟ قالت: بخمسين درهماً، قلنا لها: أحسني قالت:خمسة دراهم، قلنا لها: تنهرين تنهرين، قالت:لا والله، ولكن سألتموني الإحسان، ولو أمكنني لما أخذت شيئاً"(٣٧).

وذكرُ الكرم في كتاب رحلة ابن المجاور ورد في أكثر من موضع، نقل لنا ابن المجاور صورة طريفة معبرة عن كرم أهل البادية، إذ يقول:" وأما عرب الفلاة فلا يتغدى أحدهم إلا قرب الظُهر، ولا يتعشى إلا قرب نصف الليل، وما يؤخرون الغداء والعشاء إلا لأجل الضيف الذي يقدم عليهم، فإذا وصلت قافلة إلى حِلة (ديرة العرب التي يحلون فيها، أي: يسكنونها) عرب يخرج أهل الحِلة إلى القافلة، يمسك كل واحد منهم ثلاث أو أربع أنفس من أهل القافلة، وكذلك من يكون في البيت من النساء والعجائز والأطفال، وكل من يكون قليل النهضة ينادي بأعلى صوته: إليّ يا وجوه العرب بارك الله فيكم ويشير بيده إلى الإنسان.. " (٣٨).

والمرأة الصالحة هي التي تبعد الضيم عن نفسها وأرضها ـ يذكر في هذا السبيل أعرابية سكنت حصن الدملؤة(٣٩) المواليه لمدينة تعز، يقول" حدثني يحيى بن علي قال: أن النواب ظلموا امرأة بدوية صاحبة نعم ومواشي، فلما شاهدت المرأة اجتراء القوم في أخذ نعمها ساقت ما بقي معها من مواشي وصعدت الدملؤة وسكنت المكان، فلما جاء وقت أخذ الراعي من المواشي أبت على أداء ما عليها من حق وباطل ولزمت مكانها، فلما رأوا قوة بأسها مع شدة ناموسها صعد لها قوم فلم تمكنهم من الصعود ونزلوا حولها فحاصروها فلم يعمل فيها شيء، فلما سمع والي العهد خبر المرأة وتمنعها عن أداء ما عليها من الضرائب المعهودة والقوانين القديمة ورأوا قوة الموضع أنفذ لها ذمة لها ولمن معها وأن يُزال عنها وعن مواشيها الخراج ويطيب

قلبها، فنزلت المرأة فبنى الوالي على الموضع حصناً منيعاً وهو بذاته قوي مكين سمي الدملؤة لدوام مكث طالبيه تحته على أخذه"[٤٠].

ولعل أسمى درجات الصلاح عند المرأة "العفة" نجده عند المرأة النجدية التي راودها السقاء عن نفسها مرارا فنهته فلم ينته، فلما أبصرت العفيفة عين الحقيقة قامت إليه فمسكته وأدارت كتافه وشدته في جوار كلب كان عندها. يعلق ابن المجاور قائلا:

فِفِيهِنَّ مَنْ تُسَوِّي ثَمَانِينَ بُكْرَةٍ وَفِيهِنَّ مَنْ تُسَوِّي عِقَالَ بِعَيْرِ

وَفِيهِنَّ مَنْ لَا بَيَّضَ اللهُ وَجْهَهَا إِذَا قَعَدْتُ بَيْنَ النِّسَاءِ بزيرِ[٤١]

وقد يكون إعجاب ابن المجاور بعفة المرأة وإخلاصها لزوجها هما الدافعان له في أن يظهر اعتقاده بتأثير النجوم والكواكب في سلوك المرأة بقوله:"ولا شك أن هذه المرأة كان طالعها بالسنبلة[٤٢]، كما ذكره أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب التفهيم في علم التنجيم.. " [٤٣].

وحكاية ابن المجاور هذه إن دلت على شيء فعلى مزايا وصفات عديدة تتمتع بها المرأة في تلك المجتمعات. فمن مكة المكرمة إلى زبيد إلى عدن إلى نجد إلى جزيرة قيس تتعدد المزايا وتختلف. كلها تدل على وجود الخير إلى جانب الشر، والصلاح إلى جانب الفساد وكلاهما يدخل في عالم النسبة. وهذا ما يبحثه المظهر الثالث والذي يرينا الوجه المقابل لما أسميناه صلاح المرأة. وهو يعرض لموضوع الفساد والمرأة في بعض المجتمعات التي تواجد فيها ابن المجاور والذي يعطينا فكرة لا يستهان بها عن مفهوم الفساد وعقاب الفساد.

**٣. ٢ فساد النساء:**

اكتشف ابن المجاور خلال إقامته ببعض المدن والقرى أن المرأة تعيش حالة من الكشف الظاهر، فلا ستر ولا قشر ولا قناع ولا حجاب، ولا شك أن هذا الكشف قد

آثار بغير قليل من الصدمة للرحالة الذي تفاعل مع هذه الصورة بشكل يختلف باختلاف ثقافته وشخصيته وكذا استعداده النفسي لتقبل الآخر كما هو.

إن الصورة المكشوفة التي هزت الرحالة بقوة، جعلته يصدر أحكاماً؛ إذ وجد نفسه وجهاً لوجه أمام المرأة المكشوفة وهو ما لا تقبله ثقافته وبيئته، ولا شك أن هذه التجربة ستجد شروط إنتاجها في المحطات التجارية " فرضة عدن أنموذجًا "[٤٤] الذي شكل بالنسبة للرحالة مجالاً للفرجة من نوع خاص، يصف ابن المجاور وقاحة نساء البرابر[٤٥] بقوله:"إذا تخاصم بعض نساء البرابر مع أخرى تخلع ما عليها من الثياب وتلطم صدرها وتصفق وتقفز وتسلق عينيها في وجه صاحبتها وتغدو كل واحدة منهما تارة تنام وتارة تنحني وتارة تضحك وتارة تبكي وتارة تعبس وتارة تلطم.. فما رأيت أوقح ولا أوسخ ولا أقل حياء من البرابر، لا جزاهم الله عن الإسلام خيراً. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" الحياء من الإيمان"وقال حكيم: إذا لم تستحيِ فاصنع ما شئت"[٤٦].

هذه الانتباهة إلى وقاحة نساء البرابر وسوء أخلاقهن وتصرفاتهن بعدن ليست معدومة بالطبع في المجتمعات العربية التقليدية، ولكنها نادرة. يمنحنا ابن المجاور تصوّرًا واضحًا من خلال النص الرحلي لإيجاد لقطات مماثلة، جادة أو طريفة، عن وقاحة النساء في المدن وما يجاورها، لدى نساء العامة بشكل أخصّ.

عاين ابن المجاور بعض الإجراءات الشنيعة من قبل عمال الجمرك العدني في هذه المدة التاريخية، لكن تجدر الإشارة إلى أن عمال الجمرك يضمن العنصر النسائي اللواتي يقمن بإجراءات تعسفية بإدخال الأيدي إلى أوساط النساء، فحصا عما احتضننه من دراهم ودنانير، يقول في وصفه:"فإذا وصل المركب المرسى وأرسى تقدم إليهم نائب السلطان ويصعد المفتش يفتش رجلاً بعد رجل، ويصل التفتيش إلى العمامة والشعر والكمين وحزة السراويل وتحت الآباط ويضرب بيده على حجرة

الإنسان ويدخل يده بين أليتيه ويشتمه على قدر المجهود، وكذلك عجوز تفتش النساء تقرب بيدها في أعجازهن وفروجهن"[٤٧].

ويوضح لنا ابن المجاور شدة آلام التاجر ومعاناته، فيصبح بائسًا من حياته، منقوص الحظ، يندب حظه لما يقاسيه:شدة التفتيش وفرض الرسوم الباهظة، بقوله:" وحينئذ يظهر على التاجر الحِراف[٤٨] ويقتله الحَزَن ويبقى في وادي الدبور بما يعملون معه من الفعل الذي يطير منه البركة والسعادة "[٤٩].

من الإنصاف أن نقول أن الظاهرة التي يصفها الرحالة كان لها من دون شك أسباب اقتصادية وسياسية، لكن من الإنصاف أيضاً أن لا نعمم نقد الرحالة للمشرفين على الديوانة على أهل عدن، فإنه يعني أولاً قبل كل شيء الخطة الشاقة التي هي من نتائج عمال الديوان.

من جانب آخر. يرينا ابن المجاور بأن المرأة إذا غلبها الدين[٥٠] فإن دينها يفسدها، ولا عجب في ذلك. فالتورط في كثرة الدين(الطرح) يورد المهالك ويحمل المرأة غالباً على الوقوع في الفساد.

ولعل السيئة التي يبرزها الراوي قد تكون وليدة المجتمع والبيئة المحيطة وأعراف الناس الفاسدة، ويورد في هذا المجال حديثاً عن ذلك بقوله "حدثني أحمد بن مسعود قال:ولم تفسد المرأة في اليمن إلا من جهة الطرح (الهدايا والواجبات)، قلت:ولم ذاك؟ قال:لأنه يكون للنساء عليها سلف ولم يكن معها ما تقضي به الذي عليها فتخرج على وجهها إلى غير طريق فتهيم فتحتاج فتكتب لهم إلى أن يحصل لها شيء فترد المال للناس الذي عليها، وليس يقبل منها يمين ولا شاهد إلا قول المرأة على المرأة مصدق "[٥١].

وصاحب كتاب (تأريخ المستبصِر) يخص انتباهاته النقدية، الخاطفة عن خفايا المرأة في عصره، خاصة ظاهرة "البغاء" التي كان يشهدها كلما اتجه متوغلاً

نحو الجنوب. فقد روى في كتابه أنه كان هناك قبائل تدعى السرو[٥٢] وهم قبائل وفخوذ من العرب لا يحكم عليهم سلطان، بل مشايخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون، فإذا خرج أحدهم إلى سفر أتت المرأة إلى عند المخلف (أي عشيق المرأة) يحاضنها إلى أن يرجع زوجها، فإذا قرب المسافر من منزله نادى بأعلى صوته: أيها المخلف اللجوج، فقد حان وقت الخروج أو يدخل المسكن غفلة فإن وجده في المسكن قتله، وإن كان قد خرج فقد عفا الله عما سلف، وسألت رجلاً منهم في مكة فقلت له:أيها الرجل النزيل ماذا يصنع المخلف؟ فرد أسوأ الجواب فقال: يسحق الخبز ويمحق المرأة "[٥٣].

كما لم يفت ابن المجاور في إلقاء الضوء على أوضاع العناصر التي وجدت أيضاً– "قوم يقال لهم (البهيمية) وهم يرجعون في الأصل إلى آل عامر، ويرجع آل عامر إلى سِنحان، فإذا نزل بهم ضيف يقول له: بم تعشّى؟ يقول: بكذا، وبم تغدّي؟ وما يقدم له إلا ما طلب واشتهى عليهم، فإذا تعشى يقول الرجل لزوجته:روحي أكرمي الضيف!فتجيء المرأة فتنام في حضن الضيف إلى الصباح، بلا خوف ولا حذر، ويقوم الصبح كلّ يغدو إلى شغله"[٥٤].

وأضاف ابن المجاور بأن زواج هؤلاء القوم يتم بعد ممارسة الجنس، "فإذا خطب زيد بنت عمر وأنعم له عمرو بإيجاب القول دخل زيد إلى بنت عمرو واستفضها وبات معها طول ليلته، فإذا أصبح خرج وترك نعليه في بيت بنت عمرو فيعلم عمرو أنه رضي بها، فحينئذ يعقد له عقد النكاح، وإن لبس حذاءه وغدا علم عمرو أن زيداً لم يرض ببنته، وهذا في أجاويد هؤلاء القوم "[٥٥].

من هنا نرى أن مضاجعة النساء خارج إطار الزواج كان أمراً مقبولاً حتى بالنسبة للمرأة المتزوجة؛ إذ يقبل الزوج المسافر وجود عشيق لزوجته في غيابه، فقد استخدم الجنس كمعنى لإكرام الضيف كما سبق أن أشرنا، أي أن الجنس قيمة مشاعة وليس سلوكاً مداناً من بعض القبائل البدائية في هذه المدة التاريخية.

ويعاضد هذه المقولة ظهور جسد المرأة من ملابسها، فقد روى ابن المجاور أن هناك أرض بني شعبة[٥٦] ليس يلبس نساؤهم إلا الأدم، وذلك أن المرأة تأخذ طاقين من الأدم تخيط بعضه إلى بعض وتقور فيه قوارة وتكتسيه، فإذا مشت بان جميع بدنها من فوق ومن تحت، وإذا رأى غريب المرأة على ذلك الزي يقول لها: استتري فيقول له زوجها: أكسها، وإن كانت امرأة عريانة وهي لابسة فيقول له زوجها: أكسها، فإن كساها وإلا قتله لأنهم يقولون: من ستر غيّر "[٥٧].

والحديث عن فساد المرأة في عصر ابن المجاور لا يكتمل بدون الحديث عن الجواري ورسم صورة لأحوالهن فالعصر عصر رقيق والجواري نساء أسلمهن القدر للعبودية وحرمتهن الأحكام السائدة من حقوقهن الاجتماعية والإنسانية، فالجارية تُشترى وتباع، وتوهب وتسخّر لشتى أنواع الأعمال، وهي مرتهنة لعبودية طويلة إذا لم يحن عليها سيدها بالحرية ـ يذكر ابن المجاور في كتابه أن البغاء شيء شائع، وأن الناس يستخدمون الجواري في ذلك يقول:"وكان أهل مكة في سالف الدهر يشترون العبيد ويقطعون عليهم قطعة تعطى لسيده كل يوم بيومه، وكذلك النساء تقطع المرأة قطعة على جواريها في تحصيل الذهب، فترجع الجارية ترجو الفرج أو تبذل الفرج للرجل والحرج في هرج ومرج، وإلى الآن هذا (٦١٨هـ-١٢٢٢م) موجود في عدن ـ من الغريب وأهلها ـ وليس هذا الفن عندهم عار بل يفتخر النساء بذلك "[٥٨].

وقد كانت الجارية في ذلك العصر كالسلعة التجارية تحمل من بلد إلى آخر وتعرض في الأسواق على الناس، وتشترى لتخدم في الدور أو تسخر لأعمال أخرى، والجارية المحظوظة هي التي تتمتع بجمال باهر أو موهبة فنية يؤهلانها لخدمة السلاطين أو خدمة الخواتين(الملكة أو الأميرة). وابن المجاور يفرد موضعاً خاصاً في كتابه يعرض فيه (صفة بيع الجواري) في عدن. فيقول:"تبخر الجارية وتطيب وتعدل ويشد وسطها بمئزر ويأخذ المنادى بيدها ويدور بها في السوق وينادي عليها ويحضر التجار الفجار يقلبون يدها ورجلها وساقها وأفخاذها وسرها وصدرها ونهدها، ويقلب

ظهرها ويشمر عجزها ويقلب لسانها وأسنانها وشعرها ويبذل المجهود، وإن كان عليها ثياب خلعها وقلّب وأبصر... ، فإذا قلب ورضي واشترى الجارية تبقى عنده مدة عشرة أيام زائد وناقص، فإذا رعى وشبع ومل وقضى وطره يقول زيد المشتري لعمرو البائع: باسم الله ياخواجا، بيني وبينك شرع محمد بن عبد الله، فيحضرا عند الحاكم فيدعي عليه العيب "[٥٩].

أمور كثيرة يطرحها الكتاب تدعو إلى الاعتقاد بأن عادات وتقاليد كثيرة لم يستطع العلماء والصلحاء إزاحتها من تلك المجتمعات، حيث إن مفهوم الأخلاق يصبح نسبيا. والغريب أن نواحي عديدة نسبت إلى المرأة وفسادها كانت تتم بحماية الرجل، فكيف تُتَّهم امرأة ذلك العصر بأن الفساد وُلد معها ولازمها، وأنه متمم لذاتها كأنثى، كما يُلمّح إليه من خلال بعض الحكايات؟

وأخيراً لا شك أن الرحالة وهو يجتاز المسافات ليصل إلى الآخر، كان يراهن على تجاوز كل ما خلفه وراءه، كان يستشرف الوقوف على نساء يشبهن حور العين[٦٠]، لكن واقع الحال كثيراً ما كان مخيباً للآمال محبطاً، وداعياً للسخط والتذمر. الشيء الذي نتج عنه ما اصطلحنا عليه بالصورة المربكة. وتتكون هذه الصورة التي كثيراً ما تواجهنا في نص الرحلة إلى بلاد اليمن ـ الصورة السلبية المدانة، وتستمد صورة المرأة في هذا المستوى سلبيتها من أدوارها الاجتماعية أو مهنها، وكذا علاقتها بالرجل والمحيط، فقد وجدناه في كتابه يقسم بالله الرحمن الرحيم أنه ما رأى في جميع اليمن، سهلها وجبلها، وجهاً حسناً يعتمد عليه النظر، ولا فيهم ظرافة ولا لطافة ولا ملاحة ولا حلاوة إلا اسم بلا جسم، ما ترى إلا عجائز سوء خبيثات الأبدان قليلات الأدب، ذوات آراب وسخات اللسان قذرات الأكل على حد قوله[٦١].

وإذا كان ابن المجاور قد استمد معالم الصورة السلبية للمرأة اليمنية من خيبة انتظاره، إذ رجع إليه البصر وهو حسير، فإن ابن بطوطة في مطلع القرن الثامن الهجري (١٤م) قد وجه مجسته لقياس درجة الجمال الفائق والعفة والصون لدى المرأة اليمنية التي

تحللت من أحد أهم ملامح الصورة النموذجية للمرأة التي خلفها وراءه قائلا:"وتخرج النّساء متمطّيات الجِمال في المحامل، ولهنّ مع ما ذكرناه من الجمال الفائق والأخلاق الحسنة والمكارم. وللغريب عندهنّ مزيّة، ولا يمتنعن من تزوّجه كما يفعله نساء بلادنا، فإذا أراد السفر خرجت معه وودّعته إن كان بينهما ولد فهي تكفله وتقوم بما يجب له إلى أن يرجع أبوه ولا تطالبه في أيّام الغيبة بنفقة ولا كسوة ولا سواها إذا كان مقيماً فهي تقنع منه بقليل النفقة والكسوة لكنّهنّ لا يخرجن عن بلدهنّ أبداً"(٦٢).

**٣. خلاصات واستنتاجات:**

وفي الختام لابد من رصد مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراسة موضوع "**صورة المرأة في رحلة ابن المجاور**"، نجملها في النقاط التالية:

- امتاز ابن المجاور بوصفه الأثنوغرافي للأماكن، متمثلا ببيئتها وشخصياتها وأحداثها بأدق تفاصيلها، مسجلاً انطباعاته، وقد اعتبرت رحلته من أهم المصادر في المدونات الرحلية في مطلع القرن السابع الهجري(١٣م).
- نقل ابن المجاور في رحلته أحداثاً واقعية إلا إنها لم تخل من العجائبية، تحمل في ثناياها دلالات الدهشة من خلال وصفه راسماً عالماً خارقاً مرتكزاً فيه على الأحداث العجيبة.
- استطاع ابن المجاور أن ينقلنا عبر رحلاته إلى عالم المرأة، وذلك بوقوفه على القضايا الاجتماعية التي تتعلق بها، إذ كان لدى ابن المجاور عين مغناطيسية استحوذت على الكثير من الاهتمام الانثروبولوجي (الزواج، السحر، الأزياء) وما إلى ذلك.
- رصدنا في هذه الرحلة صوراً عديدة للمرأة، والذي تراوح بين الانبهار والرفض، كما تراوحت بين الثبات والتغيير، وذلك في ارتباط بالسياقات الزمنية والتاريخية والثقافية التي أطرت الرحلة. هناك عدة صور للمرأة، تراوحت بين المألوف

واللامألوف، بين التصورات الذهبية المسبقة، وبين المشاهدات التي التقطتها، كما تردد تفاعل الرحالة بين الاندهاش والقبول، وبين الرفض والإقرار بالاختلاف الثقافي أحياناً أخرى.

- إذا كانت الصورة التي رسمها ابن المجاور للمرأة لا تخلو من وجوه أنثوية تتعدد لا بل تتصارع، وإذا كانت ألوان السلبية في هذه الصورة فاقعة، فإن الأمر يرجع أولاً إلى طبيعة الرحلة التي كانت في كثير من محطاتها ذات طابع اجتماعي واقتصادي الشيء الذي فرض على الرحالة أن يعطي للمرأة الصورة النمطية التي أطرت في نص الرحلة، وسذاجتها قياساً إلى ثراء الواقع وحيويته.

- يعد كتاب رحلة ابن المجاور مرجعاً في توثيق أخبار النساء في منطقة الحجاز وبلاد اليمن وما يليهما من بلدان، قد تكون سطحية وفريدة لا يمكن تعميمها وتطبيقها على جميع النساء، إلا إن القارئ يكوّن من خلالها صورة واقعية منقحة عن وضع المرأة آنذاك، ولا يمكن دحض ونفي كل ما تحتوي عليه.

- الكتاب تلزمه استراتيجية في القراءة لكي يصل القارئ إلى المعالم المتضمنة المقصودة وغير المقصودة، فهو عبارة عن أحداث واقعية وأخبار تنبني وتبحث عن أسسها. فابن المجاور ضبط صورة المرأة هذه ضمن المظهر العرفي والتقليدي الذي رضيت المرأة به وعاشته واعتادته فلم تحاول في ذلك العصر الخروج من هذا الإطار.

## الهوامش

(١) يذكر كتاب: صفة بلاد اليمن ومكه وبعض الحجاز، المسماة: تاريخ المستبصر المنسوب تأليفه خطأً إلى جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد بـ: ابن المجاور الشيباني الدمشقي (ت:٦٩١هـ/١٢٩١م) والمرجح أن مؤلفه الصحيح هو: أبو بكر بن محمد بن سعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري المتوفي بعد عام (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، سمع من الكندي، وعبدالجليل، وتفرد برواية "تاريخ بغداد" عن الكندي. يقول الحافظ الذهبي: "كان ديناً، ومصلياً، إلا أنه يخدم في المكس". انظر: الحافظ الذهبي، العبر في خبر من عبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ج٥، ١٩٨٦، ص٣٧٠؛ ابن العماد، شهاب الدين ابن الفلاح الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، مطبعة ابن كثير، ط١، م٧، ص٧٢٨؛ خيرالدين الزركلي، الأعلام (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، ج٨، ص٢٥٨؛ ابن تغري البردي، جمال الدين ابن المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة، ج٧، ص٣٣؛ أغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية (جامعة الدول العربية)، القسم الأول، ٣٤٩-٣٥١.

(٢) تاريخ مخطوطات هذا الكتاب معقد للغاية، فإلى جانب المخطوطات التي وجدت طريقها إلى أوروبا بفضل مجهودات شيفير Schefer، أضيفت مخطوطتان أخريتان في عهد دي خويه ولاندبرج، ورغماً عن هذا فلم يقدر لأحد هذين العالمين أن يتخذ قراراً بإخراج طبعة كاملة للكتاب، ولعل اوسكر لوفغرين Lofgren كان أكثر حظاً منهما فقد استطاع أن يضيف إلى تلك المخطوطات مخطوطة استنبول، وينشر قطعاً من كتاب ابن المجاور. والأثر حقاً جدير بطبعه كاملة، فقد نشرها أخيراً (١٩٣٦). انظر:كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص٣٥٠، ٣٥١؛ابن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تأريخ المستبصر)، تحقيق اوسكر لوفغرين، بيروت، منشورات المدينة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧/١٩٨٦، ص٢-٦.

وصدرت طبعة ثانية للكتاب، وهي صورة طِبق الأصل للطبعة الأولى، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠.

(٣) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٦.

(٥) المصدر نفسه، ص١٦.

(٦) المصدر نفسه، ص١٦.

(٧) المصدر نفسه، ص١٦.

(٨) المصدر نفسه، ص١٠٢-١٠٣.

(٩) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(١١) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٢٢٠-٢٢١.

(١٢) تتطابق إشارة ابن بطوطة مع قول ابن المجاور عند تحدثه عن مدينة عيذاب بالبحر الأحمر التي جرى عليها ما جرى على المرأة بحكم أن قبائل البجا كانوا "لا يورثون البنات". انظر: ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبدالله محمد اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، تحقيق عبدالهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. م. ١، ص٢٣٠.

(١٣) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٢٥٨.

(١٤) المصدر نفسه، ٢٥٩.

(١٥) المصدر نفسه، ص٢٦٨.

(١٦) المصدر نفسه، ص٣٢٦.

(١٧) اسمهان صيداوي، صورة المرأة في رحلة ابن بطوطة، أعمال الندوة التي نظمتها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، ١٩٩٣، ص٨٨.

(١٨) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص١٥.

(١٩) المصدر نفسه، ص٢٨٢.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٢١٨.

(٢١) الخلخال: عادة ما يصنع من الذهب أو الفضة، قد يملأ بالقار ليبدو غليظا، وتعلق به بعض الحلقات التي تصدر رنيناً، واستدل على تحلي المرأة اليمنية بهذا النوع من الحلي في هذه الحضارة ببعض النماذج، من بينها تمثال لسيدة كانت ترتدي سروالاً وتزين ساقها بخلخال، وقد تم العثور عليه في آثار جنوب الجزيرة العربية. عبد العزيز صالح، المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة، الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ١٩٨٥، ص٨٤.

(٢٢) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص١٥٥.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٣٢٣.

(٢٤) المصدر نفسه، ص٢٥٩، ٢٦٠.

(٢٥) المصدر نفسه، ص٢١٧.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٢١.

(٢٧) الغرائبية:"le fantastique" يقع مصطلح "le merveilleux" وغير بعيد عن معنى العجيب(العجائبي). وبالرجوع إلى المعاجم الفرنسية تبين أن هذا المصطلح يطلق على كل ما له صلة بالخيالي، والوهمي، والأسطوري، فقولك رؤية فانتاستيكية يعني رؤية غريبة مدهشة، عجيبة وشاذة، غير مألوفة، خارجة عن الإطار العادي. وقد يطلق على الشكل الفني والأدبي الذي يستدعي العناصر التقليدية للعجيب ويبرز اقتحام اللاعقلاني "lirrationnel"للحياة الفردية والجماعية. انظر:

larousse en couleurs:librairie larousse,paris 1972,p. 567. larousse, petit– A-kondo, Nouveau Larousse Encyclopedique,librairie larousse, 1994, tome1, p1000. –

الخامسة علاوي، العجائبية في أدب الرحلات–رحلة ابن فضلان نموذجا، دار السويدي للنشر، ابو ظبي، ط. ١، ٢٠١١، ص٤١، ٤٢.

(٢٨) ترن:" قلت لعمرو بن علي بن مقبل: ولم سميت هذه الأرض ترن؟ قال: لأن الخلق كانوا يتعجبون من عظم خلقها فكان زيد يقول لعمرو: ترن أي تراها، فعرفت الأرض بهذا الاسم، ولهذا تقول العادة أنا النرني، يسكن فخذ من فخوذ العرب أرض ترن، ولا شك أنهم بنو مجيد، وهم أهل أنعام ودين وزرع وضرع.. " انظر:ابن المجاور، تأرخ المستبصر، ص ١١٩.

(٢٩) المصدر نفسه، ص١١٩.

(٣٠) شبام:"وكم هي مدينة، إحداها مدينة شبام، ضمر مر خراب، وضعت وبنيت في أصل حصن ضمرمر، ولم يبق من جميع الربع سوى الجامع عامراً، وشيام كوكبان عامر في الجبال، وشبام حضرموت وهي هذه" . انظر: ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٢٧٩.

(٣١) السحر:" يتمظهر السحر على شكل أفعال سحرية، أعمال يقوم بها الساحر ويتبعها تحول في الحالة عند المرسل إليه الذي يتلقى هذا العمل. ويشتمل هذا العمل على ثلاثة أدوار على الأقل: من يؤثر، ما يؤثر فيه، ومن يؤثر لصالحه. وأسمى هذه الأدوار على التوالي: ساحر، موضوع السحر، المرسل اليه . أن هذه المفاهيم العامة جدا تسمح مسبقاً بصياغة تعريف أول للأعمال السحرية، وهو الآتي: أنها أعمال يؤثر بها الساحر لكي يؤثر، في الواقع، في المرسل إليه"

انظر: تزفتان تودوروف، بعض التأملات العامة في السحر، مجلة العرب، الفكر العلمي، ص١٣٢.

(٣٢) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص ٢٧٧.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٣٤) "درب زبيدة" نسبة للسيدة الأميرة زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد التي قامت بإنشاء هذا الطريق الشهير على نفقتها الخاصة وللمزيد من المعلومات التاريخية والآثارية والمصادر عن درب زبيدة، انظر: الراشد، سعد، درب زبيدة – طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة، دار الوطن، الرياض، ١٤١٤؛بكر، عبد المجيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، دار تهامة، جدة، ١٤٠١.

(٣٥) حركات، إبراهيم، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، الدار البيضاء، أفريقيا، الشرق، ١٩٩٨، ص٦٤.

(٣٦) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٨٦.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٢٥٣.

(٣٨) المصدر نفسه، ص٢٥٢.

(٣٩) الدملؤة:يشير الهمداني إلى أن الدملؤة من عجائب اليمن التي ليس في بلد مثلها بما يقول: (قلعة الجؤة لأبي المغلس في أرض المعافر وهي تطلع بسلم فإذا قلع لم تطلع)، وفي موضع آخر (بسلمين في السلم الأسفل منها "أربعة عشر ضلعاً" والثاني فوق ذلك "أربعة عشر ضلعاً" بينهما المطبق وبيت الجرس على المطبق بينهما، ورأس القلعة يكون "أربعمائة ذراعاً" في مثلها فيها المنازل والدوار، وفيها مسجد جامع فيه منبر..)، وكانت بيت ذخائر الملوك وأموالهم، وللدملؤة تاريخ طويل مشهور، وقد لعبت أدواراً بطولية مجيدة ولها أخبار وحكايات تضمنتها كتب التاريخ، ويُذكر أنه كان لها كتاب تاريخى يسمى (ضوء الشمعة في تاريخ الجمنون والقلعة). وقد ارتبط اسم قلعة الدملؤة بابن المغلس وهو أحد أهم الزعماء المحليين الموالين لدولة آل زريع في عدن القرن الخامس عشر للميلاد. انظر:الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٥؛النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥، ص١٠٥، ١٠٦؛نجم الدين عمارة بن ابي الحسن، تاريخ اليمن المسمى المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد وملوكها وشعرائها وأدبائها، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤، ص٢٠٠، ٢٠١؛الدملؤة، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٤٠) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص١٨١.

(٤١) المصدر نفسه، ص٢٥٥.

(٤٢) السنبلة (برج العذراء) وهو سادس برج من الأبراج الاثنى عشر من دائرة البروج أي قوس من دائرة مسار الشمس. برج من الجهه الشمالية للسماء. تمر الشمس من برج العذراء من ٢٣ أغسطس إلى ٢٢ سبتمبر. تكون الشمس في هذا البرج عند أواخر الصيف حسب الأساطير الميثولوجية الإغريقية، العذراء هي أستريا.. انظر:البيروني، أبي الريحان محمد بن أحمد، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، تحقيق باسل الطائي، محمد الديلمي، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤؛برج العذراء، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٤٣) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٢٥٦.

(٤٤) فُرضة البحر: محط السفن، والفرُضة:المشرعة. وقيل أن الفرضة تشبه حاليا دائرة الجمرك، لتحصيل الرسوم على البضائع الواردة والصادرة. يذكر ابن المجاور في وصفه:"وخروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر، والفرضة كالمحشر، فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد، فإن كان رابحاً طاب قلبه، وإن كان خاسراً اغتم، فإن سافر في البر فهو من أهل ذات اليمين وإن رجع في البحر فهو من أهل ذات الشمال، فإذا كان هذا حال المخلوق في عالم الكون والفساد مع مخلوق كذا، فكيف حال المخلوق بين يدي الخالق غداً في هول العرض الأكبر، اللهم لا تناقشنا ياكريم". انظر:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧، ج٣، ص١٠٩٧؛أباظة، فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٨؛ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص١٤٨.

(٤٥) البربرة أو بربرا يعدُّهم بعض الجغرافيين العرب من القبائل التي تنسب إلى القبائل الحامية التي ليست حبشية ولا زنجية، وهم الصوماليون بصفة خاصة، ونجد ابن بطوطة هنا يتحدث عن عدّهم من السودان. وقد ورد ذكر مدينة البربرة عند بطوليمي وعند ابن سعيد ويقول ياقوت أن لهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم.. وإلى بربرا تنسب الخيول الرفيعة، وقد جاء في شعر امرئ القيس: على كل مقصوص الذناب معاند---يريد السُّرى بالليل من خيل بربرا. انظر:رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص١١٤، هامش٤٧.

(٤٦) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص١٥٤.

(٤٧) المصدر نفسه، ص١٥٨.

(٤٨) الحُرف هو الحِرمان، والمحرِف الذي ذهب ماله، والمحارِف الذي لا يُصيب خيراً من وجه توجه له (منقوص الحظ). المصدر الحِراف. ابن منظور، لسان العرب، ج٩/٤٣.

(٤٩) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص١٥٨.

(٥٠) يعرف الفقهاء الدين بأنه" لزوم حق في ذمة" ومعاني الدين اللغوية تدور حول الانقياد والذل، وبين المعنى الشرعي والمعني اللغوي رابط ظاهر، فإن المدين أسير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أن صاحبكم مأسور بدينه) رواه أبو داود. وعن عائشة رضي الله عنها أن النبيى صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة: "اللهم أني أعوذ بك من المأثم والمغرم، فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: أن الرجل إذا غرم (أي استدان) حدث فكذب، ووعد فأخلف" رواه البخاري ومسلم.

(٥١) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص١٠٣.

(٥٢) قبائل يمنية تسكن في جبال السراة كقبيلة بجيلة فاشتق اسمهم من اسم بلادهم. يحدثنا ابن جبير عن صفات البداوة فيهم – انظر: رحلة ابن جبير، دار الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص٩٥-٩٦؛ ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٣٨.

(٥٣) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٣٨.

(٥٤) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٥٥) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٥٦) وصف ابن المجاور بني شعبة:" ولم يكن في جميع العالم أضل من هؤلاء القوم ولا أسرف ولا أجرم ولا أجسر منهم في أخذ مال الحاج؛ لأنهم يسمون الحاج: جفنة الله، فإذا قيل لهم في ذلك يقولون: إذا حضر جفنة الله لخلقه، أكل منه الصادر والوارد". يتفق الرحالان ابن رشيد السبتي ٦٢٨هـ/١٢٥٨م، والبلوي القنتوري ٧٣٦هـ/١٣٣٥م مع ما ذكره ابن المجاور في خبر انتشار الأعراب (بني شعبة) في المشاعر المقدسة. أنظر: ابن رشيد، ابو عبد الله محمد الفهري، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨، ج٥، ص٨٧؛ البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي من الملكية المغربية ودولة الإمارات، مطبعة فضاله – المغرب، ج١، ص٢٧٩؛ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٦٥.

(٥٧) ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٦٦.

(٥٨) المصدر نفسه، ص١٧.

(٥٩) المصدر نفسه، ص١٦٤، ١٦٥.

(٦٠) في حديث ابن المجاور عن صفة زبيد، ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سماها: أرض الحُصيب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل:"يا معاذ وصلت أرض الحُصيب فهرول، فإن بها نساء يشبهن حور العين. وأضاف في موضع آخر من زبيد إلى المسلب فرسخ، يقال:إنما سميت المسلبُ؛ لأن نساءها يسلبون العقول من حسنهم وجمالهم وظرافتهم، كما قال:سقى الله ربات الحصيب وربعها --- فما الحسن إلا ما حوته ربوعها. انظر:ابن المجاور، تأريخ المستبصر، ص٩٩، ٢٧٤.

(٦١) المصدر نفسه، ص٢٧٤.

(٦٢) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص١٠٥.

## قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

**أ. الكتب العربية:**


- أباظة، فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.
- ابن العماد، شهاب الدين ابن الفلاح الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، مطبعة ابن كثير، ط١، ١٩٨٦.
- ابن المجاور، أبو بكر بن محمد بن سعود بن علي، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تأريخ المستبصر)، تحقيق اوسكر لوفغرين، بيروت، منشورات المدينة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧/١٩٨٦.
- ابن المجاور، أبو بكر بن محمد بن سعود بن علي، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (تأريخ المستبصر)، راجعه ووضع هوامشه ممدوح حسن محمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠.
- ابن بطوطة، شمس الدين أبي عبدالله محمد اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، تحقيق عبدالهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار، بيروت، دار الشرق العربي(، ب. ت).
- ابن رشيد، ابو عبد الله محمد الفهري، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨.
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- البردي، ابن تغري، جمال الدين ابو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة، ج٧، ١٩٥٦.

- البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، طبع تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي من الملكية المغربية ودولة الإمارات، مطبعة فضاله. المغرب، ج١، ب. ت.
- البيروني، أبي الريحان محمد بن أحمد، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، تحقيق باسل الطائي، محمد الديلمي، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٤.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧
- الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ج٥، ١٩٨٦.
- الراشد، سعد، درب زبيدة –طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة، دار الوطن، الرياض، ١٤١٤.
- الزر كلي، خيرالدين، الأعلام (قاموس تراجم)، دار العلم للملايين، بيروت، ج٨.
- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥.
- الهمذاني، أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، مطبعة أبريل، ليدن، ١٨٨٥.
- بكر، عبد المجيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، دار تهامة، جدة، ١٤٠١.
- تودوروف، تزفتان، بعض التأملات العامة في السحر، مجلة العرب، الفكر العلمي.
- تودوروف، تزفتان، مدخل الى الادب العجائبي، ترجمة الصديق بو علام، دار الكلام، الرباط، ط١، ١٩٩٣.
- حركات، إبراهيم، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، الدار البيضاء، أفريقيا، الشرق، ١٩٩٨.
- صالح، عبد العزيز، المرأة في النصوص والآثار العربية القديمة، الكويت، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ١٩٨٥.

- صيداوي، اسمهان، صورة المرأة في رحلة ابن بطوطة، أعمال الندوة التي نظمتها مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، ١٩٩٣.

- علاوي، الخامسة، العجائبية في أدب الرحلات–رحلة ابن فضلان نموذجا، دار السويدي للنشر، ابو ظبي، ط. ١، ٢٠١١.

- كراتشكوفسكي، أغناطيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية (جامعة الدول العربية)، القسم الأول.

- نجم الدين عمارة بن ابي الحسن، تاريخ اليمن المسمى المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد وملوكها وشعرائها وأدبائها، دار الكتب العلمية، ٢٠١٤.

**ب. الكتب الأجنبية:**

- A. kondo: Nouveau Larousse Encyclopedique,librairie larousse ,paris, 1994.
- larousse: petit larousse en couleurs,librairie larousse,paris, 1972–